# مواهب الوّهاب المالك

## في التّعريف بالشّيخ الحاج مالك

للعالم العلامة الشيخ محمّد بن عبد الله المك المجلسيّ المعروف بمحمّد تابان

من منشورا ت سراج الحضرة المالكية بتواوون

الرقم التسلسلي: 00224

# المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

الحمد لله الذي أمر بابتغاء الوسيلة، نحمده سبحانه وتعالى على نعمه الجزيلة.

والصّلاة والسّلام على سيّد مضر القائل: **"رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"** الرّسول المؤيّد بالمعجزات الواضحات صلى الله عليه وعلى آله المطهَّرين من الرّجس في محكم الآيات، وعلى أصحابه الهادين المهتدين، والتّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين.

وبعد، فيقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه، الغنيّ القدير، **محمّد بن عبد الله،** المكّ المجلسيّ المعروف **بمحمّد تابان،** جعل الله مثواهما بحبوحة الجنان.

هذا وقد خطر ببالي أن أجمع نبذة من ترجمة الشّيخ الفقيه، الإمام العالم العلّامة الهمام، غوث الأنام، ومصباح الظّلام، وإن كان مثلي لا يُترجِم لمثله

من الأئمّة الأعلام، وما ذاك إلّا لقصور الباع وتراكم الهموم، وقلّة الاطّلاع، وسمّيتها:

## مواهب الوهّاب المالك، في التّعريف بالشّيخ الحاج مالك.

فأقول وبالله التّوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطّريق:

### تعريفه وذكر نسبه رضي الله تعالى عنه:

"هو الإمام العالم العلّامة، الشّيخ الفقيه الصّوفي التّقيّ النّقيّ الفهّامة، من فاق أهل عصره بالإطلاق، وطار صيته في جميع الآفاق، الحبر المحقّق، الزّاهد الورع المتواضع العابد، الأديب الحسن الأخلاق والشّيم، فريد عصره في العرب والعجم، المجدّد للقرن الرّابع عشر عند كلّ ذي عقل سليم، يُبصّر الكاشف عويصات المسائل، زاد الرّاحل، ومأوى المُرمل النّازل، المقتدي بأفضل الخلق أجمعين، والخلفاء الرّاشدين الهادين المهتدين، عليه وعلى آله وأصحابه أفضلُ الصّلاة والسّلام، ما ترنّم على أفنان البان الحمام. الشّيخ الأشعري اعتقادا، المالكيّ مذهبا، التّجانيّ طريقة، الأصوليّ العالم بفنّ الفروع، النّحوي اللغويّ، البياني العروضي، العالم بفنّ السّيرة، بل المحرّر لسائر الفنون، العارف بالله.

## نــسـبــه، رضي الله تعالى عنه.

**الحاج مالك بن عثمان،** المشهور بـدِنْـبَ[1] **خُرَيْـجَ، بن معاذ** المشهور **بدنب بُنَّ،** بن **محـمّـد** بن **علي** بن **يوسف،** الجلفي نسبة إلى جلف، وهي بلدة من {**سنكال**}[2] ، الصّينيّ قرية، وهي من قرى {**جلف**} السُّيومّي بتشديد الميم نسبة لـ{**سُـيُـومّ**} وهي قرية قريبة من {**بُدور**}[3] البوسطة المشهورة عند أهل القبلة **الدوير.**

فأما معاذ فهو أوّل من اشتهر من أجداده في بلدة {**جلف**} على ما سمعته من الثّقات، وهو من الأفاضل الذين اشتهروا بالعلم والعمل به. وأبناؤه كلّهم علماء، وبناته ولدن العلماء على ما سمعناه ممّن يوثق بخبره.

فأمّا أولاده فمنهم **عبد خُـجَّ،** و**المختار بِنْدَ[4]، وأحمد وعثمان والمختار فَاتِـمْ.**

وله بنات فمنهنّ **مَـتِ دنب، وبَاسِنْ دنب، وخديجة، وسِنَّ، وهَـرَمْ بُنْكُ[5]، ومَتِ أُخْرى وعـائشة.**

---

[1] Démba

[2] Sénégal

[3] Podor

[4] pénda

[5] Arame mbonko

• فأما **عبد خُجَّ**، فله أولاد، فمنهم **محمّد مجكين**[1] **وسعيد وباب**.

• وأمّا **المختار بند**، فله أولاد، فمنهم الحاج **محمّد آمن وأحمد بنت ومحمّد بنت وعبد بنت ودام**.

• وأمّا **أحمد** فله أولاد، فمنهم الحاج **محمّد خُجّ، ومحمود وسعيد جَارَ والمصطفى ومحمّد جُوسِ وإبراهيم وانبك**، واسمه **مهرم، وله بنات** فمنهنّ **فاطمة** وهي أمّ الحاج **عبد فات ومحمّد فات**.

ومنهنّ **خديجة**، وهي أمّ الشّيخ **عمر انجاي**. ومنهنّ **مَتِ** وهي أمّ **أحمد انجاي**. ومنهنّ **ست** وهي أمّ **محمّد ست**. ومنهنّ **باس**، وهي أمّ **الحاج نبي**.

• وأمّا **المختار فاتم**، فمن ولده **محمود بُرِ، ومحمّد أمن ومَجُوبْ ومَخَرِ**.

• فأمّا **عبد خجّ والمختار بند**، فأمّهما **خُجَّ كمرا**. وأمّا **أحمد وعثمان ومَتِ دنب وباس دنب** فأمّهم **مَتِ انبك**. أمّا **مَتِ** هذي فلا أدري هل عقبت أم لا!

• وأمّا **باس دنب** عقَّب ومن عقبها **محمّد باس**، وهو من أهل العلم، وهو والد **يوسف انجاي** وإخوته. و**بار باس**، وهو والد **محمّد باس وجيرن**.

---

[1] Madjiguene

• وأمّا **هرم بنك،** هي أمّ سيّدتنا **صفيّة** أمّ سيّدنا **محمّد المنصور** وأخويه[1]. فهي بنت عمّة الشّيخ رضي الله عنهما.

• وأمّا **مَـتِ،** فمن عقبها **جُورْ** وَ **فَاتُ انجاي.** وأمّا عائشة، فمن عقبها **المختار كب.** وأمّا **عثمان، فليس له** من الولد غير الشّيخ رضي الله تعالى عنهما. وفي ذلك سرّ لمن تأمّل، وهو كونه لم يلد غيره، وكونه رحمه الله تعالى مات قبل ولادة الشّيخ رضي الله تعالى عنهما.

**ـ في الحديث عن شيء من ترجمة والده عثمان رحمهما الله تعالى برحمته الواسعة.**

**مشواره العلمي، رضي الله تعالى عنه.**

رحل رضي الله تعالى عنه في طلب العلم كعادة السّلف الصالح، فنال منه حظّا وافرا، وأخبرني **محمّد عبد الله** بن **الحافظ** بن **خير،** أنّه أخبره فريد عصره **محمّد بن محمّد المختار** بن **أحمد فال،** أنّ عثمان قرأ على **المصطفى** بن **أحمد فال،** وأنّ السّيّد **عثمان** هذا كان بارعا في الحفظ والاجتهاد.

وقد بلغني أنّه قرأ على علّامة زمانه **محنض باب** الدّيماني.

[1] الشيخ عبد العزيز، والشيخ محمد الحبيب، رضي الله عنهم جميعا.

## زواج الشيخ عثمان بوالدة الشيخ الحاج مالك، {فاطمة وادّ وله}

وفي رحلته هذه كان يتردّد إلى {**إدو فال**}[1] ولـمّا رجع في المرّة الأخيرة تزوّج بوالدة الشّيخ **فاطمة ودّ**، رحمه الله تعالى، ثمّ سافر راجعا إلى بلده. ولقي الشّيخ العالم العلّامة، **محمّد خجّ كُنبَ**[2]، صاحب النّظم المشهور في النّحو، المسمّى بـ{**الـمـقـدّمـة**} وهو نظم جيّد كاد أن يكون كافيا عن غيره. ومن تأمّله حقّ التّأمّل علم مهاراته.

فتذاكرا[3] في العلم على ما سمعته، فوجد الشّيخ **محمّد خجّ كنبَ** الشّيخ **عثمان** بحرا لا ساحل له.

## سبب وفاة الشّيخ عثمان، رضي الله تعالى عنه.

فلمّا قدم على أهله لم يلبث عندهم إلّا قليلا، فأغار عليهم اللصّوص الجبابرة، فدعا **معاذ**[4] **عبد خُجّ**، فقيل له: **عبد خجَّ** ليس حاضرا، فقال من هنا؟ فقالوا له **عثمان**، فدعاه، فقال له اذهب إلى هؤلاء القوم، وقل لهم فليردّوا لي أموال جيراني، فركب على فرس لـ **عبد خجّ**، فتبعهم، فلمّا أحسّوا به اختفى له رجل

---

[1] Dofall

[2] Coumba

[3] صاحب المقدّمة الكوكّيّة. المشهور بـ{Mor khoudia Coumba}

[4] Demba bounna

منهم، فلمّا قرب منهم ضربه برصاصة فأصابته في رجله، فحمل إلى القصر ومات رحمه الله تعالى، بعد مدّة في حياة أبيه فدفن في قرية {**الصّين**} المذكورة قبلُ.

وقد بلغني أنّ عمره حينئذ **ثلاثون سنة.** وكانت وفاته رضي الله عنه قبل ولادة الشّيخ رضي الله تعالى عنهما بمدّة ما عرفت قدرها. وقد سمعت الشّيخ رضي الله تعالى عنه ذات يوم يقول: إنّه سمع أنّ والده كان يقول: حافظوا على هذه الكتب، فسوف يأتي مالكها إن شاء الله تعالى فحقّق الله رجاءه.

**خليلي هذا ربع عزّة فاعقلا قَلُوصَيْكُمَا ثمّ ابكيا حيث حلّت**
**ومسّا ترابا طال ما مسّ جلدها وظلّا وبتنا حيث باتت وظلّت**

**مولد الشّيخ الحاج مالك، وتاريخ ومكان ولادته، وكفالته، رضي الله تعالى عنه.**

ـ وكانت ولادة شيخنا رضي الله تعالى عنه تقريبا عام أربعة وسبعين ومائتين وألف[1] من هجرة خير البريّة، على صاحبها أفضل الصّلاة وأزكى التّحيّة. وله أخ وأخت من الأمّ، وهما أكبر منه سنّا. أمّا أخته فاسمها **فاطمة** ومن عقبها **شيبة فال،** وأمّا أخوه فاسمه **عبد بول،** وله أولاد، فمنهم

[1] ١٢٧٤هـ

**علي فال، ومالك وعمر وأبوبكر.** ولـمّا ولد الشّيخ رضي الله تعالى عنه، وكانت ولادته بقرية {**إدو فال**} في كفالة أمّه **فاطمة ودّ، وخاله،** وشيخه **محمّد بن أبي بكر بن عبد الرّحمن** المشهور ب **ألف مير** رحمهم الله تعالى، في صيانة وأمانة وديانة، فجاء فريدَ عصره ونسيجَ وحده.

**دراسته، والأماكن العلميّة التي مرّ بها وشيوخه، رضي الله تعالى عنه.**

وخبّرني الشّيخ الفقيه أحد الخاصّة من أصحاب الشّيخ رضي الله تعالى عنه الذين صحبوه في أوّل ظهوره صهره الحاج **عبد فات** المتقدّم الذّكر، أنّ جدّه **أحمد** عمّ الشّيخ أرسل إلى أمّ الشّيخ رضي الله تعالى عنه **فاطمة ودّ،** أنّها ترسله له وترسل له الثّياب التي من عادتها أنّها ترسلها له في كلّ عام وعمره حينئذ ستّ سنين ونيّف، فجعل يقرئه القرآن العظيم، فمكث معه مدّة حتّى حفظ القرآن العظيم، ثمّ دفع له شيئا من الكتب وأمره بالسّفر إلى أمّه ليعلمها أنّه حفظ القرآن العظيم، ووقعت الفتنة بعد ذهابه في بلده {**جلف**} المذكورة فذهب عمّه إلى {**سالم**} وهي بلدة من {**سنكال**} فمكث الشّيخ رضي الله تعالى عنه، في قرية {**إدوفال**} مسقط رأسه رضي الله تعالى عنه، وهي قرية قريبة من

{**دكن**}[1] (دون ألف كما رأيته بخطّ بعض أهل العلم)، البوسطة المعروفة عند أهل هذه البلاد على جانبها الشّرقي، يدرّس مدّة. ثمّ ارتحل إلى قرية {**بدور**} المذكورة، فنزل عند شيخ فيها اسمه **محمّد توب،** فجعل يجوّد عليه القرآن العظيم، ثمّ جاءه رجال من أهل {**سالم**} البلدة المذكورة، فقالوا له كيف حالك في قراءة القرآن؟ فهل حفظته أم لا؟ فقال لهم نعم حفظته، فقال له رجل منهم اسمه **محمّد صاو،** لا بدّ أن تنتقل إلى بلدة {**كجور**} وهي بلدة من {**سنكال**} لتطلب العلم هنالك، ثمّ ذهب الشّيخ رضي الله تعالى عنه مع **محمّد صاو** هذا، ومرّا بقرية

{**كد انمب**}[2] وفيها شيخ اسمه **مكي حوّا،** فقرأ عليه مختصر عبد الرّحمن الأخضري، ثمّ ذهب إلى قرية أخرى يقال لها: {**كَرْ كُدُّ أَلَسَانْ**} وفيها شيخ اسمه **مور جوب،** فقرأ عليه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ثمّ ذهب إلى قرية أخرى يقال لها {**طيب سَي**}[3] وفيها شيخ اسمه **كَلُ سَي**[4] فقرأ عليه آجروم، والملحة في النّحو، وكتاب التّصريف، والمقدّمة الككّيّة. ثمّ ذهب إلى قرية

---

[1] Dagana

[2] Kadd démba

[3] Tayba seye

[4] Galo seye

أخرى يقال له {**جِلَّ دَرَمَانْ**} وفيها شيخ **مسلّهْ مان،** فقرأ عليه ألفيّة محمّد بن مالك. ثمّ ذهب إلى قرية يقال لها {**انجابال**}[1] وفيها شيخ اسمه **إبراهيم جختي،** فقرأ عليه مختصر خليل بن إسحاق، وقد سمعت أنّه مكث معه مدّة. وقد أخبرني من أثق بخبره أنّه قرأ عليه ثمّ رجع إلى {**اندر**} وقرأ المقامات الحريريّة على الشّيخ الأجلّ، والقدوة الأمثل، إمام أهل الجزيرة، ذي المناقب الكثيرة، **الحاج أحمد انجاي مابيي،** الاندري[2] دارا، الكجوريّ أصلا. فمكث ثَـمّ سنين للتّدريس. وفي أثناء هذه المدّة سافر لزيارة شيخه **محمّد عال** اليعقوبي نسبا، العلوي وطنا، فمكث معه مدّة، وأمره بالرّجوع إلى أهله بقضاء حاجته، وأوصاه وصيّة حذّره فيها من مخالطة النّاس لاسيّما أبناء الدّنيا.[3] وقد سمعت أنّه رجع إلى {**إدو فال**} بعد خمسة وعشرين يوما.

## رحلته إلى الحجّ رضي الله تعالى عنه.

وأخبرني الأخ **محمّد جاج،** السّالمي السّاكن الآن في {**دكار**} أنّه أخبره الشّريف **محمّد المختار** الوداني بلدا، النيوري دارا، الخائي مدفنا، رحمه الله

[1] Ndiabali

[2] نسبة إلى {**اندر**}.

[3] توجد الوصيّة في كتاب {**تحفة الإخوان**} منسوبة فيه إلى الحاج محمّد فال بن الفَغَ. لكن ما ثبت في كتاب إفحام المنكر الجاني لصاحب التّرجمة، هو أن الوصيّة للشيخ محمّد عالي اليعقوبي.

تعالى، وكان من خاصّة الخاصّة عند الشّيخ رضي الله تعالى عنه، أنّه أخبره الشّيخ **الحاج مالك** رضي الله تعالى عنه، أنّ الشّيخ **محمّد عال** أدخله الخلوة، ثمّ منّ الله تعالى عليه بأن يسّر له حجّ بيته الحرام، وكان العام الذي سافر فيه لأداء فريضة الحجّ عام خمسة وثلاثمائة وألف[1]، على ما أخبرني به الفاضل الأديب الذّكيّ **محمّد عال بن محمّد بن فتى** العلويّ، أنّه أخبره الفقيه المحقّق، العالم العلّامة الصّوفيّ النّبيه، أحد خلفاء الشيخ أبي العبّاس **أحمد بن مَحمّد** التّجاني، رضي الله تعالى عنه **محمّد فال** بن **باب** بن **أحمد بيب** العلوي، أنّه قدم على {**اندر**} متوجّها إلى حجّ بيت الله الحرام عام ستّة وثلاثمائة وألف[2]، ووجد الشّيخ **الحاج مالك** قدم من الحجّ في العام الذي قبل ذلك، وهو كما علمت، ولـمّا أدّى فريضة الحجّ [3]تاقت نفسه إلى زيارة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، قال قصيدة يودّع فيها الكعبة المشرّفة، ومطلعها:

**أستودع الله ربّي كعبة الله وكلّ ما حولها يا كعبة الله**

---

[1] ١٣٠٥.

[2] ١٣٠٦

[3] ربّما سقط هنا حرف العطف {و} وإلّا سقط حرف {الفاء} عند قوله {قال قصيدة يودّع.....}

ثمّ سافر إلى **المدينة المنوّرة**، على ساكنيها أفضل الصّلاة والسّلام، فزار سيّد الأنام وآله وصحبه الكرام، وقال في القصيدة المذكورة، حين زار المصطفى ﷺ :

**زرت الحبيب الذي لولاه ما برز الـ كون وما أنعموا من أنعم الله**
**زرت الحبيب الذي ترجى عليه ألف تحيّات من الله**
**زرت الحبيب الذي عمت عليه ألف سلامات من الله**

إلى أن قال:

**زرت الحبيب الذي ما بين منبره وقبره روضة من جنّة الله**

فمكث في المدينة المنوّرة، على ساكنيها أفضل الصّلاة والسّلام، ما شاء الله تعالى أن يمكث فيها، ولعلّه كان يريد الجولان في تلك البلاد، لمشاهدة البقاع الفاضلة، ولقاء العلماء، للاستفادة، فلقي بعضَ الأفاضل بالمدينة المنوّرة، على ساكنيها أفضل الصّلاة والسّلام، فلعلّه تحدّث معه في ذلك، أو فهمه من كلامه، فقال له: "**إذا أدّيت ما وجب عليك فارجع إلى وطنك، فإنّك إن جلت في البلاد، سوف ترى[1] لا يسكت عنه! وليس هذا زمان الكلام**" ومن جملة ما استفاد منه الشّيخ رضي الله تعالى عنه" **هذا زمان السّكوت، ولزوم البيوت،**

[1] ربّما سقط شيء من هنا، مثل {**ما**} ونحوه.

**ومن قال بالحقّ يموت، أو يضرب بالنّبّوت"**. والنّبّوت بوزن التّنّور: العصا، لغة مصريّة.

ومرّ في رجوعه بالإسكندريّة، فنزل عند بعض أفاضلها الأجلّة، فتحدّث معه في العلم، واختبره على ما سمعته في مسائل، فوجده جذيلها المحكّك، فلمّا علم مكانته دعا إخوانه وأصدقاءه لمحادثته وسؤاله عمّا أشكل عليهم من المسائل، وطلبت منه الطّريقة هنالك، فلقّنها لمن طلبها، وقد سمعت أنّه أوّل من أدخلها[1] الإسكندريّةَ. وقد حضرت ذات يوم براوة أتته من عند بعض المتعلّقين به السّاكنين ببيت المقدّس، وهو إذ ذاك في قرية {**تواون**}.

ولـمّا قدم رضي الله تعالى عنه على بلاده، ذهب إلى زيارة أخواله بالقرية المذكورة، ثمّ سافر متوجّها إلى {**جلف**} البلدة المذكورة، وطن آبائه الكرام، فمكث ثَـمّ ما شاء الله. ثمّ سافر متوجّها إلى بلدة {**كجور**}. وأخبرني الشّيخ الفقيه، أحد الخاصّة من أصحابه رضي الله تعالى عنه، صهره **الحاج مالك صار** رحمه الله تعالى أنّه نزل بقرية يقال لها {**وَقّ**} بفتح الواو وكسر القاف المشدّدة، وهي قرية من قرى {**انجابور**} وهي بلدة من سكان {**سنكال**} عند

[1] الطريقة التّجانيّة.

رجل من أحبابه يقال له **بَلَّ انجاي**، لأنّه كان قبل ذلك يقرأ في قرية {**ادوفال**} وكانت أمّ الشّيخ رضي الله تعالى عنهم بمنزلة الوالدة له وقتئذ. ولـمّا كان المحلّ ضيّقا عن مراد الشّيخ رضي الله تعالى عنه ذهب رؤساء أهل البلد يلتمسون له موضعا، فأخذوا له موضعا يقال له{**كرباسٍ**} فترك فيه ابن عمّه الحاج **محمّد آمن** وصهره **كُورْ سَانِ**[1]، وإلى الآن ابن عمّه في ذلك الموضع.

وذهب الشّيخ رضي الله تعالى عنه مع بعض أصحابه إلى {**اندر**} ومكث فيها سنة، ثمّ رجع إلى {**كرباسن**} ثم سافر منه في العشر الأواخر من رمضان، وتمّمه في {**ككّ**} وهي قرية من قرى {**انجابور**} وذلك هو زمن خروج **عال بور** من {**جلف**} خوفا من {**افرانس**}.

## إنجازات الشّيخ الحاج مالك

### الـــمـدرسة الـنجارنديّة.

ثم سافر الشّيخ في القرية المذكورة إلى قرية {**جارد**}[2] هكذا يكتبونها. وكانت السّيدة **رقيّة انجاي** أمّ الخليفة **أبي بكر سه**، أرسلها الشيخ رحمهما الله تعالى

[1] لقبه NIANG

[2] Ndiarndé

قبل ذلك مع **مـمّ جـور** إلى {**جارد**} فمكث الشّيخ رضي الله تعالى عنه في قرية {**جارد**} سبع سنين على ما بلغنا عن الثّقات، يزرع ويعلّم الطّلبة ويعبد الله تعالى. وكان يعجبه من شهدوا معه {**جارد**}. وتوفّيت والدته رحمهما الله تعالى على ما سمعته في السّنة الأولى من سنتي {**جارد**}.

## الـمـدرسـة الـتّـواونيّـة.

وارتحل الشّيخ رضي الله تعالى عنه منها إلى القرية المباركة الميمونة، وما هي إلّا كما قال الشّاعر المشهور بالفصاحة والبلاغة **محمّد عبد الله بن قفى العلوي:**

**خليلَيَّ عوجا وانزلا بتـــواون تـواون فـيـهـا الـيـمـن لـلـمـتـيـامـن**
**فـمـا طـار فـيـهـا طـائـر مـتـشـاءم ولـكـنّـهـا ذات الـطّـــيور الميـامن**
**جزى الـلـه سُـفْـنـا بلّغتنـا بلادهـا أتـمّ جـزاء مـن جـزاء السّـــفـائـن**
**ولم يكـــ قـدمـا في تواون منزلي ولا هي من أرضي ولا من مـــواطني**
**ولـكـنّـهـا صـــارت مـدينـة مـالـك ومـا مـالـكـــ إلّا كـريـم الـمـدائـن**
**أبـا الـلـه إلّا أنّ مـنْ أمّ مـالـكـا يـفـوز بـذاكـــ الـغـبـن يوم التغـابن**
**فـنـالـت غلاء عـنـد ذاكـــ ورفعـة ويعلو من السّـكّـان كـلّ المسـاكن**

فتشرّفت به، فإنّ الأرض تتشرّف بساكنيها كما هو معلوم. وتوطّنها رضي الله تعالى عنه، وبنى بها دورا وزاوية، وهبّت عليه النعمات الإلهيّة، والفيوضات الأحمديّة المحمّديّة التّجانيّة، ويسّر الله له موضعا متّسعا يزرع فيه شرقي {**ابر**}[1] البوسطة المشهورة، وبنى بجنابه الغربي قصرا سمّاه {**فاسا**} تبرّكا، وسكن فيه بعض الخاصّة من أصحابه، تجتمع الإخوان في ذلك الموضع لخدمة البساتين. وإنّما فعل ذلك لأجل أن يتعارفوا ويتعاونوا على البرّ والتّقوى، عملا بقوله تعالى:

﴿**وتعاونوا على البرّ والتّقوى**﴾ ولازمته جماعة من أصحابه يتعلّمون عليه، لايفارقونه في الغالب، ينفق عليهم ويكسوهم، وصار يتردّد بين {**تواون**} و{**اندر**} وبين {**تواون**} و {**دكار**} يمكث في كلّ واحدة منها ما شاء الله تعالى. وله في كلّ قرية من هذه القرى الثلاثة زاوية وأهل. وقد بُنِيَتْ بأمره في آخر عمره في {**اندر**} زاويةٌ عجيبة في غاية الحسن والارتفاع والاتّساع، وبجانبها دار للسّكنى، فيها بيوت في أسفلها، وفي أعلاها بيوت تسكن فيها التّلاميذ الغرباء، وهي اليوم أعمر مساجد الجزيرة، تقام فيها الصّلوات

[1] pire

الخمس، وتقرأ فيها الوظائف غدوّا وعشيّا، ولا زاجر يزجرهم بفضل الله تعالى، وهي إحدى كراماته الكثيرة رضي الله تعالى عنه، بعدما كان من بعض أهلها من السعاية بالنّميمة، بل بالبهتان بينه وبين الحكّام، ومنعه مساجد الله أن يذكر فيها اسمه..الآية. وقال الله تعالى:﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال.... الآية**﴾ وقال الشيخ الحاج مالك في ذلك من أبيات:

**من كان مانع عبد الله مسجده فإنّ أظلم منه لا يُرى أبدا**

لم يألوا جهدا في تغريبه ظلما وعدوانا فما ضرّه كيدهم بشيء، قال الله تعالى: ﴿**إنّ الله لا يهدي كيد الخائنين**﴾. وكان **الحاج عبد الله سكّ** الأندري، رحمه الله تعالى برحمته الواسعة يدافع عنه غاية، وينصره في كلّ ما عرض له، حتّى لـمّا منعه من الذّكر في المساجد أعطاه موضعا من داره بنى فيه زاوية وبيوتا سكن فيها بعض أصحابه جزاه الله تعالى خير الجزاء.

وكان الحاج **عبد الله سك،** يعتقد في الشّيخ **الحاج مالك،** رضي الله تعالى عنه غاية، وترك ذلك في بنيه من بعده. ولـمّا توفّي الحاج **عبد الله سك،** رثاه الشّيخ بقصيدة، ولكنّي ما رأيتها.

وفي {**اندر**} اليوم زوايا عديدة غير الزّاوية المذكورة تقام فيها الصّلوات الخمس، وتقرأ فيها الوظائف غدوّا وعشيّا، على رغم أنف الحاسد! ولم يزل أمر الشّيخ متزايدا إلى الآن! فتبارك الله أحسن الخالقين، والذين كانوا يعادونه ماتوا على غيظهم، قال تعالى: ﴿**قل موتوا بغيظكم ..الآية**﴾ ثمّ يوم القيامة يخاصمهم، قال الله تعالى: ﴿**ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون.. الآية**﴾ وأكثر أهل الجزيرة اليوم تجانيّون، والأمور على خواتمها.

وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف[1] أصلحوا ما فسد من الزّاوية والدّار المتّصلة بها، وقاموا على ساق الجدّ في بناء دار الشّيخ رضي الله تعالى عنه، التي في {**اندر**} وبنوها بناء محكما، أتمّ الله لنا ولهم المراد.

وأمّا أهل {**دكار**} فإنّهم لـمّا رأوا الحقّ انقادوا له. فإنّ الشيخ رضي الله تعالى عنه في تردّده إليهم صاروا ينخرطون في سلكه شيئا فشيئا، حتّى أنّه لم يبق منهم إلّا النّادر.

وبنى الشّيخ رضي الله تعالى عنه في {**دكار**} أوّلا زاوية كبيرة، وقد أتيت معه {**دكار**} مرّات ونسكن فيه الزّمن الطّويل، وتارة نسكن فيه الزّمن القصير، فما

[1] ١٣٥٣هـ.

رأيت تلاميذ أحسن منهم سيرة مع شيخهم، فربّما قاموا بمؤنة داره الرّجال والنّساء في ذلك سواء، بل النّساء ربّما كنّ أشدّ اعتناء بذلك، وسيرتهم مع **الشّيخ الخليفة** كذلك، جزاهم الله تعالى بأحسن الجزاء، في هذه الدّار وفي الدّار الآخرة. فإنّهم بذلوا جهدهم في حبّ **الشّيخ التجاني** رضي الله تعالى عنه، وفي حبّ طريقته، وفي حبّ **الحاج مالك** رضي الله تعالى عنه، وفي حبّ خليفته الشّيخ **أبي بكر** رضي الله تعالى عنه، بل في حبّ من ينتسب إليه، أولاد وأقارب وإخوان الطّريقة مع السّعي في قضاء حوائج الكلّ من غير سآمة بقدر الطّاقة. وبعد وفاة الشّيخ رحمه الله تعالى بزمن هدموا الزّاوية المذكورة، وبنوها بناء محكما في غاية الحسن والارتفاع والاتساع، ومع اتّساعها تضيق من المصلّين في بعض الأحيان! وفيها زوايا كثيرة غيرها. فقد سمعت بعض الإخوان يقول: إنّ فيها اليوم نحوا من **أربعين زاوية**، تقام فيها الصّلوات الخمس، وتقرأ فيها الوظائف غدوّا وعشيّا، وأنا أظنّها أكثر من ذلك. وكذلك سائر.....[1] التي تمرّ بها السّفن في هذه البلاد السّنكاليّة برّا وبحرا. فإن كان أهلها تجانيّون[2] فالغالب أن تكون فيها مساجد تقام فيها الصّلوات الخمس،

[1] هذه الكلمة عليها شطب في النّسخة التي عندي! فهي غير واضحة، ولهذا لم أتمكّن من نقلها. وأظنّها ـ والله أعلم ـ "**الأماكن**"

[2] لعلّ الصواب هو "تجانيّين"

وتقرأ فيها الوظائف غدوّا وعشيّا، إن كان أهلها من أصحاب الشّيخ **الحاج مالك** رضي الله تعالى عنه، فإنّه هو الذي أمر أصحابه بقراء[1] الوظيفة صباحا ومساء معتمدا على الآيات والأحاديث، وقول إمام الطّريقة سيدي **أحمد بن محمّد** التّجاني الشّريف الكاملي[2] الحسني رضي الله تعالى عنه، **والشّيخ رضي الله تعالى عنه بلغ رتبة الاجتهاد ولم يجتهد.**

ولنرجع لما كنّا بصدده من خبر الشّيخ رضي الله تعالى عنه، فإنّه بثّ العلوم بالتّدريس والتّأليف نظما ونثرا وشرحا وتصحيحا، وبذل المال بكثرة مع طلاقة من غير علم زيد ولا عمرو امتثالا لقول الله تعالى ﴿**وإن تخفوها... الآية**﴾ وقد دلّ عليه قول زهير بن أبي سلمى:

**تراه إذا ما جئته متهلّلا كـأنّـك تعطيه الذي أنـت سائله**

وقولـه:

**وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم**

وقول الآخـر:

**فما رجعت بخائبة ركاب حكيم بن المسيّب منتهاها**

[1] هكذا كتبت في النّسخة الأصليّة، أي: بحذف التاء، في القراءة، وهذا واقع عند الإضافة، قال الله تعالى: ﴿وإقام الصلاة﴾ لكنّ مصدر أقام: إقامة، بالتّاء، والله تعالى أعلم.

[2] ربّما الأصل فيه "الكامل" إن لم تحدث فيه نسبة، والله أدرى وأعلم.

وينشد لسان حاله رضي الله عنه بيتي حاتم الطّائي، وهما:

**أشاور نفس الجود حتّى تطيعني وأترك نفس البخل لا أستشيرها**

وقوله:

**يرى البخيل سبيل المال واحدة إنّ الجواد يرى في ماله سبلا**

**شهادات بعض علماء عصره له، رضي الله تعالى عنه.**

وقد أقرّ له علماء عصره بالتّقدّم في العلم والاستقامة على السّنّة. وأنّ أصحابه أهل استقامة. والاستقامة هي: الكرامة عند الرّجال. وقد مُدح بكثير من الشّعر، لا يمكنني ذكره هنا للاختصار، ولكن أذكر منه قليلا، قال الشّيخ الفقيه الصّوفي العلّامة سعد أبيه:

**على فائق الأقران مالك دهره يعود سلام طاب ليس له حدّ**

**تطيب به الأرواح إن فاح نشره وفي طيّه من عندنا الودّ والعهد**

**فإفضالك السّامي عزيز جزاءه فإن رامه المخلوق يقصر به الجهد**

**فإن تكن الأشراف نالوا سعادة وسعدا من المختار ما مثله سعد**

**فمالك المشهور حاز اتّباعه فنال مقاما دونه النّسر والسّعد**

**مدارسه في العلم خير مدارس وأوراده في الذّكر ما مثلها ورد**

**فلا زالت الأيّام بيضا بنوره وسود المعاني من عباراته تبدو**

وناهيك بشهادة هذا الشيخ رضي الله تعالى عنه. انظر قوله: **"وأوراده في الذّكر ما مثلها ورد"** فإنّه شهد له بفضل طريقه على سائر الطّرق. وقد شهدت له أعداؤه بفضله. والحقّ ماشهدت به الأعداء، وللشّاعر الفقيه **عبد الرّحمن بن النّبيه** العلوي رحمه الله تعالى :

**تركت القلب عندكـ في دكارا أبا المنصور رهنا أو معارا**
**ولا تعجب لشيء غير هذا أخو عرب يحنّ إلى دكارا**
**وإنّي منشد ما قال قبلي من الشعراء من قال ادّكارا**
**وما حبّ الدّيار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الدّيارا**

وللشّاعر الأديب **محمّد فال بن المختار** الدَّيماني:

**الحاج مالكُ إن يلمم به أحد يجده كالغيث إنّ الغيث جوّاد**
**يجد كريما جوادا سيّدا ورعا وجوده بازدياد الدّهر يزداد**
**هو الجواد الكريم الذْ علم وحلم وأموال وأوراد**
**يعطي الجزيل عطاء لا يمنّ يسود إلّا ببذل المال أسياد**
**وداره دار ظلّ للتّقى بنيت أساسها الدّين والإكرام والزّاد**
**له مصابيح لا تنفكّ من كلّ ما وجهة يأتيه أوفاد**
**وبئره عذبة جمّاء يعتادها من جميع النّاس**

**قال بعض العلماء يمدحه:**

**عدّوك يا إمام الدّين عادى لك المولى وبالخسران عادا**
**وحسّاد رمتك بكلّ كيد وقيت إذن مكائدها الشّدادا**
**وغضّ الله منهم كلّ طرف ومنهم كفّ ألسنة حدادا**
**تربّص كلّ دائرة عليكم ويأبى الله إلّا ما أرادا**
**فلا شادوا حصون العزّ منكم ولا هدموا لكم حصنا مشادا**
**فكم طعنوا بمنصبك المفدّى ولا طعنا أردت ولا جلادا**
**وعاد فساد بغيهم عليهم وكان البغي يلتزم الفسادا**
**أقامك في العباد الدّهر داع لأمر الله من خلق العبادا**
**وربّ العالمين إليك ألقى أزمّتها فأحسنت القيادا**
**ومن كلّ المشايخ حزت رفعا فإنّك كنت مفردها المنادى**
**لباب الدّين كنت له سويدا وعين المجد كنت لها سوادا**
**فقل لمعانديك ولم تعاند وكان الحلم ديدنك التّلادا**
**أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا**
**صلاة الله يتبعها سلام على من نوره كشف السّوادا**

هذا ما مكّنني ذكره هنا مداوما على العبادة بأنواعها، وعلى المطالعة. ولا يعترض عليّ معترض في ذلك، فإنّ الكتب التي كانت تُطالَع له في آخر عمره وعلى التّعليم. وأكثر ما يطالع كتب التّفاسير وكتب الأحاديث وشرّاحها، ولا

يعمل إلّا بالقول الرّاجح من الأقوال، ومع ذلك ليس محتجبا عن النّاس، قال الشّاعر:

**لـه حـاجـب عـن كلّ مـا يـشـيـنـه ... وليس له عن طالب العرف حـاجب**[1]

فيلقاه كلّ من يريد لقاءه بلا تعسّف، ويقضي حوائج ذوي الحاجات، مع كثرة الواردين والصّادرين، فيكرم الضّيف ما دام نازلا، ويزوّده إذا أصبح راحلا، وقلت:

**يـا طـالـب الـعـلـم آت مـالـك ... تظفر بحاجك من جنيد ذي العصر**
**فإن جهلت لـحال الشّيخ ملجئنا ... اسمع أحدّثْك ما قد صحّ مـن خبـر**
**فـهـو الإمـام الـذي صـحّـت إمـامـتـه ... عندي وسيـرته من أحسن الـسّيـر**
**مـا ريء مرتكبـا أمرا يعـاب بـه ... بل كان مقتفيا لسيّد البشر**
**بـثّ الـعـلـوم لـمـن قـد جـاء ... والـمـال أعطى لـذي بدو وذي حضر**
**لله درّ إمـام كـان ديـدنـه ... قـفـوَ الـكـتـاب و[2]قد صحّ من أثـر**
**هذي حـقيقته إن كـنت جـاهـلها ... ومـا تـراه عـيـانـا لـيس كـالـخبـر**
**صلّى الإله عـلى الـمـخـتـار من مـضـر ... وآلـه وعـلـى أصـحـابـه الـغـرر**
**والتّابعين لهم ما نـال ذو وطـر ... من الإلـه الذي يـبغي من الوطـر**

---

[1] في البيت نظر من ناحية الوزن، ورأيت بيتا آخر يقول:

**لـه حـاجـب عن كلّ أمـر يَـشـيـنـه ... ولـيـس لـه عـن طـالـب الـعرف حـاجب**

وهذا البيت مستقيم، والله تعالى أعلم.

[2] ربّما قد سقط اسم الموصول {ما} فتأمّل، والله تعالى أعلم.

**أخـــلاقـــه وأحـوالـــه، رضي الله تعالى عنه.**

يحبّ آل المصطفى ﷺ، ويكرمهم غاية ونهاية ويعظّمهم، ويُنزِل النّاسَ منازلهم ، يرشد الغافل، ويعلّم الجاهل، ويعظّم حملة القرآن غاية ونهاية، سواء عنده الصغير والكبير، ويسأل كلّ أحد لقيه من أهل العلم، ولا ينكر على أحد، وبالجملة فمثله ما رأيناه في عصرنا هذا! ولا سمعنا به!

مجلسه مجلس علم وأدب ووقار، يدلّ النّاس على الله تعالى بحاله ومقاله، ولا يؤذي أحدا بساحته، يقفو النّبيّ ﷺ في أقواله وأفعاله وتقريراته إلّا ما كان من خصائصه ﷺ. وأصحابه رضي الله تعالى عنهم ذو أدب وتعلّم، حيث كانوا يواظبون على الصّلوات في الجماعة بعد تحصيل شروطها في الغالب. وقد يقول بعض النّاس أنّهم يعجّلون بعض الأوقات ويؤخّرون بعضها اعتمادا على آلات حدثت بعد النّبيّ ﷺ والصّحابة رضي الله تعالى عنهم جهلا منه بأنّ البدع تنقسم إلى أنواع، منها المحرّمة والمكروهة والمستحبّة والجائزة، وهذه الآلات التي يستدلّ بها هؤلاء القوم على الأوقات عمل بها الأجلّاء منذ زمن قديم، ففي الفتوحات الإسلاميّة للشّيخ **أحمد دحلان** أنّ **هارون الرّشيد** بن **محمّد المهدي**، بن **أبي جعفر المنصور** بن **محمّد** بن **علي** بن **عبد الله** بن

**العبّاس** بن **عبد المطّلب** أهدى لملك من ملوك {**افرانس**} كانت بينهما مكاتبات، اسمه **شارلمان،** ساعة فلكيّة من مخترعات بلاد المشرق، و **هارون الرّشيد** إذ ذاك أمير المؤمنين، وهو ممّن بهم الخير، ووفاته على ما حكاه الجلال السّيوطي في تاريخ الخلفاء، سنة ثلاث وتسعين ومائة[1]. فهو من أهل القرون الثّلاثة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ في قوله: **"خير القرون قرني... إلخ"** وذكر العلماء المعتمد على أقوالهم، **كالإمام الحطّاب وعبد الرّحمن الأخضري،** أنّ {**الأسطرلاب**}[2] يعتمد عليها في أوقات الصّلوات، وقد عمل بها العلماء المرجوع إليهم في الفتوى، وقرّروا النّاس عليها، ولا يجوز لهم تقرير النّاس على المنكر، فكلّ من أنكر على من استعملها، فقد أنكر على الذين استعملوها. وإنّما تعرّضت لهذا، لأنّ قول هذا القائل في قوّة أنّهم لايصلّون، لأنّ من صلّى الصّلاة قبل دخول وقتها لاتجزئه. وتارك البعض كتارك الكلّ، وإنّما تأخير بعض الصّلوات فلا يجوز للقادر، ولكنّه أخفّ من الصّلاة قبل دخول الوقت، ويؤدّون الــزّكاة الواجبة والمسنونة، ويؤدّون فريضة الحجّ إن استطاعوا كما هو المطلوب منهم شرعا.

---

[1] {١٩٣}

[2] Astorlabe آلة فلكيّة لقياس ارتفاع الشّمس أو النّجوم.

**فائدة لمريدها،** وليكن في كريم علمكم أنّ الله سبحانه وتعالى، افترض على عباده الصّلاة، واشترط فيها الطّهارة المائيّة للقادر عليها، ويسرها الله تعالى بجوده لغالب أهل الطّريقة التّجانيّة، وهي كرامة عظيمة لمن تأمّلها، وافترض على عباده القادرين حجّ بيته الحرام، ويسّره الله لهم، فإنّه في غيرهم بالنّسبة إليهم نادر في بلادنا هذه، وهذا ممّا يعلمه زيد وخالد وعمرو، ويذكرون الله تعالى غدوّا وعشيّا، وزلفا من الليل قدر طاقتهم. فهذه قواعد الإسلام يحافظون عليها جهدهم، ومع ما اختصّهم الله تعالى به من الاستقامة، فأكثر أهل هذه البلاد ينكر عليهم أشدّ الإنكار، وها أنا أذكر هنا حديثا يردّ على من أنكر عليهم ومن سينكر! "روى البخاري ومسلم في صحيحهما[1] عن عمر إنّ رسول الله ﷺ قال: **أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله،وأنّ محمّدا رسول الله ﷺ ويقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّ الإسلام وحسابهم على الله تعالى"** فمن صحّ عنده هذا الحديث، ولم يفهم منه تحريم التّجانيّين، وأموالهم ودماءهم، فأمره مشكل! وهذا حديث آخر أزيده هنا تبرّكا وإن مع تبرّد. وفي الأربعين النّوويّة

[1] لعلّ الصّواب {في صحيحيهما}

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: **قال رسول الله ﷺ لاتحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولايخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التّقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرّات، بحسب امرء من الشّرّ أن يحقر أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"** رواه مسلم.

وفي الفتح المبين على الأربعين، **للشّيخ أحمد بن حجر**، عند شرح هذا الحديث، "وهو حديث كثير الفوائد، عظيم العوائد، مشيرا إلى جلّ المبادئ والمقاصد، بل هو عند من تأمّل معناه، وفهم مغزاه حاو لجميع أحكام الإسلام، منطوقا ومفهوما، مشتمل على جميع الآداب إيماء وتحقيقا" اهـ. منه بلفظه.

والحاصل أنّا ما رأينا مثل شيخنا في الأشياخ، ولا مثل أصحابه في أصحاب الأشياخ في هذه الأزمنة. وقلت في المشرفيّ الصّارم أوداج شيعة الميابى الظّالم في الفصل التّاسع في الكلام على مناقب شيخنا علما وتربية الحاج مالك بن عثمان، عليهما رحمة الرّحمن:

**أصحابه ليسوا كأصحاب سواه مزيّة بها إلهه حباه**

**يعلم ذاكـ من لهم تأمَّلا سبحان من عليه قد تفضّلا**

ـ وتصدّر على يديه من طلبة العلم والمريدين ما لايحصى، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ـ وله الإجازات في الشّريعة والحقيقة من الأئمّة الأعلام والشّيوخ، ذكرها في كتابه.[1]

## مـؤلّفـاتــه، رضي الله تعالى عنه.

وله رضي الله تعالى عنه تآليف عديدة في فنون شتّى، فمنها: نظم في التّوحيد، سمّاه **هداية الولدان،** وضع عليه طرّة. ومنها **كفاية الرّاغبين، فيما يهدي إلى حضرة ربّ العالمين،** وهو كثير الفوائد، تكلّم فيه على فساد الزّمان، وكثرة البدع فيه. ومنها **إفحام المنكر الجاني على طريق سيّدنا ووسيلتنا إلى ربّنا أحمد بن محمّد التّجاني.** أو **زوال الإلباس عن عوام طريق القطب أبي العباس.**[2] . وله رضي الله تعالى عنه قصائد في مدح الشّيخ سيّدي أحمد بن محمّد التّجاني رضي الله تعالى، وأنظامه في الطّريقة كثيرة، ومنها: **فاكهة الطّلّاب،** وهي أرجوزة في فقه الطّريقة التّجانيّة. ومنها: **نعمة عافي الـجانـي،** في نظم وصايا

[1] ربما يقصد كتابه: إفحام المنكر الجاني، والله تعالى أعلم.

[2] نفس الكتاب، والاسم الأوّل أشهر.

سيّدي **أحمد بن محمّد** التّجاني رضي الله تعالى عنه. ومنها **قنطرة المريد،** وهي نظم المتعلّم، وهي أرجوزة طويلة مفيدة. ومنها نظم في الفرائض سمّاه **الكوكب المنير،** وله قصيدتان في بحر الطّويل في فنّي **العروض والقوافي.** وله قصيدة طويلة في **الحكم والمواعظ،** سمّاها **زجر القلوب عن حبّ الدّار الخلوب.** وله قصيدة نظم فيها أسماء[1] الحسنى، سمّاها **وسيلة المنى،** في بحر البسيط، ونظم **الحزب السّيفي، وحزب المغني.** وله نظم في **التّوسّل،** جعل أوائل أبياته أحرف صلاة الفاتح. وله قصائد في الميراث والأدعية، إلى غير ذلك. وله رسائل يبعثها إلى الإخوان، يأمرهم فيها بالمعروف، وينهاهم عن المنكر.

## وفـاتـــــه، رضي الله تعالى عنه.

وتوفّي الشّيخ الحاج مالك رحمه الله تعالى، يوم الثّلاثاء أوّل ذي القعدة عام شمس[2] من هجرة المصطفى ﷺ. وكانت وفاته قبيل الظّهر أو بعيده. وشهد جنازته ما لا يحصى من الأفاضل، ودفن بجانب زاويته المباركة التي في **تواون،** وبني عليه بناء عجيب بناه **محمّد بي روض،**

[1] ربّما لم يأت لفظ الجلالة.

[2] ١٣٤٠هـ.

جزاه الله خير الجزاء، دنيا وآخرة. وعزا فيه القريب والبعيد، والمؤمن وغيره.

## مـراثـيـه، رضي الله تعالى عنه.

ورثته الشّعراء بأشعار كثيرة، لايمكنني ذكرها هنا، ولكن أذكر هنا منها شيئا.

فممّن رثاه الشّاعر البليغ **التّجاني** بن **باب** بن **أحمد** بيب العلوي:

بدر الكمال ومصباح الدّجا أفلا ترضون يا خير قوم بالقضا أفلا
واسودّ ليل الصّفا لمّا اختفى وعفا ما للورى من محلّ في القرى وخلا
نعى الإمام لنا النّاعي فقلت هلّا عطفت عليه العلم والعملا
مهلا نعى .... التّرب فهت بما من أجله كلّ شجو في الحشاد خلا
مقالك المرّ لا أصبحت ذا فرح من الهموم به ألبستنا حللا
نعيت خير إمام كان يرشدنا وكان يمنعنا الإضلال والزّللا
أعني الإمام الهمام الحاج مالك من أمست مآثره بين الورى
كأنّه هرم أو حاتم كرما ولا لمعنى ترى معنا إذا بذلا
ومالك كابنه نحوا وكالعتقي فقها وتحسبه الدّاني دنا وتلا
وكالبخاري إذا رمت الحديث به وابن الخطيب إذا ما تبتغي الدّولا
وكان كابن زهير في مدائحه فمدح خير الورى منه الصّكوكَ ملا
وكم له من قصيد كالفريد به بعد الوظيفة يدعو كلّ من عقلا

أحيا من الدّين ما قد كان مندرسا ولم يزل بعلوم الشّرع مشتغلا
وبثّها في قرى الإسلام محتسبا حتّى غدت علما أقوامها الجهلا
له تآليف لا تحصى فوائدها ولا ترى خللا فيها ولا مللا
وبثّ علما صحيحا في الصّدور لكي ينال كلّ مقام جدّ وارتحلا
محمّد خير خلق الله قاطبة صلّى عليه مع الآل الإلهُ علا
ما أمّه زائر يبغي العلا وعلى أزواجه وعلى أصحابه الفضلا
وزار قبر ضجيعيه اللذين به حاز الكمال وحجّ البيت وامتثلا
وسار سير أبي العبّاس وانتشرت على يديه طريق السّادة النّبلا
وصان عقيانها عن أن تشان بما يشينها وبها زان البلاد حلا
في سيره كثرت أتباعه وبه فيها إلى ربّه كم سالك وصلا
ترى المساجد في الأمصار يملأها بين العشائين بالتّهليل خير
في كلّ مصر من الأمصار أجمعها له مساجد لا تبغي بها بدلا
في كلّ زاوية صبحا وكلّ مسا تقرأ وظائف حسنا لا تملّ ولا
لا لا ترى مثله خَلقا ولا خلقا خصاله لست تحصي عدّها جملا
في كلّ يوم تراه واهبا كتبا أو مفنيا فضّة أو باذلا جملا
أو مفردا مفردا أو مجملا جملا أو مذهبا عللا أو مصلحا خللا
أو مبطلا باطلا أو صارفا جدلا أو معملا عاملا أو جاعلا جعلا

فليبكه كلّ من لا شيء يملكه ... وليبكه كلّ مَن مِن أرضه انتقلا

أهل البوادي جرت جرّاة دمعهم ... ودمع أهل القرى قد فارق المقلا

يبكون من فقده طرّا وحقّ لهم ... قوم يصونون دمعا بعده بخلا

من للقريب إذا ما سار من بُعُدٍ ... يبغي النّوال ومن للسّالك السّبلا

مضى عن الضّعفا من كان خير أب ... لهم وخلّفهم من بعده هملا

لم ينتقر زمن المشتاة آدبه ... بل كلّ يوم تراه داعي الجفلا

شرقا وغربا غدا نارا على جبل ... صيت الرّضا وغدا في علمه جبلا

وافت وفود الورى من كلّ ناحية ... هذا له معملا سفنا وذا إبلا

بين الذي يرتجي إعطاء جائزة ... وبين من يرتجي لله أن يصلا

وبين طالب علم عزّ مطلبه ... لم يبتغي غيره تعليم ما جهلا

كلّ بما يبتغي تلقاه يصحبه ... وكلّ ذي أمل يلقى به أملا

جزاه عنّا إله العرش خير جزا ... ومن خزائنه أعطاه ما سألا

لا زال من سحب الرّضوان ساقيَه ... رحيق جنّته المختوم والعسلا

كانت له جنّة الفردوس مرتتعا ... وكان روح وريحان له نزلا

والله يجعل في أبنائه خلفا ... حتّى يُرَوا فعلوا في المجد ما فعلا

يا أهل ورد صلاة الفاتح احتفلوا ... لما له كان هذا الشّيخ محتفلا

لا تغفلوا عن طريق كان ... لا خير في رجل من بعده غفلا

شمس الهدى عام شمس عنكم أفلت وجسمها عنكم قد غاب وانفصلا
لكن بدا قمر من نورها انفصلا قد خلّفته إليكم نوره اتّصلا
شعاعه كشعاع الشّمس أفضلكم من استضاء بما من نوره اشتعلا
هو الخليفة حاز اليوم مقتفيا ما حاز والده من رفعة وعلا
قضى الإله بموت الشّيخ فاحتسبوا وكلّ ما ربّنا يقضي به جملا
قد أكمل الدّين ربّ العالمين به والدّين قد ينتهي يوما إذا كملا

وقال الفقيه الشّاعر الأديب **محمّد سالم** بن

الموت أقرب ما في القلب ينتظر وفيه معتبر إن يلف معتبر
كلّ ابن أنثى سيأتيه الحمام ولو يثنى له عمر من بعده عمر
فالأرض تدنو ولو كانت بعيدةَ ان يجدّ في كلّ يوم نحوها السّفر
والنّاس للموت ورّاد ووارده ما إن يتاح له في الدّهر مصطدر
سيّان صالحهم فيه وطالحهم والأغنياء ومن منهم قد افتقروا
سيّان من علموا ان نفور يقي منه فدانوا للقياه ومن نفروا[1]
قد جاء فتتأهّب يا لبيب له واحذر غرور الدّنيّا إنّه غرر
ولا تكن إن تنل سرّاءها فرحا ولا ينلك لدى ضرّاءها ضجر
أكدارها بعدها يأتي الصّفاء ولا صفاء إلّا ويأتي بعده كدر

[1] في البيت وتاليه نظر من ناحية الوزن!

يحجوه غرّ بعيد إذ له أجل يجيء وهو بلطف الله مستتر
لكن قلوب رجال عاملين له بنوره كلّ حين نحوه نظروا
أستغفر الله من قول بلا عمل فربّ ذنب بفضل الله يغتفر
طيّب لنا الموت واجعل فيه راحتنا يا ربّ واجعله فيه الفوز والظّفر
فلا نصادف روعا في مقابرنا ولا نراع إذا ما النّاس قد حشروا

إلى أن قال:

الموت حتم وكلّ النّاس وارده سيّان من صغروا فيه ومن كبروا
لكنّ موت أبي المنصور منثلم دين الإله به أو كاد ينكسر
فقد رضينا بحكم الله ليس لنا إلّا الرّضا بالذي يجري به القدر
إنّا له وإليه جَلّ مرجعنا لا منجأ غيره يرجى ولا وزر
نعيت يا أيّها النّاعي مربّينا إمامَنا مالكا من عمره درر
نعيت يا أيّها النّاعي مجدّد ما من شرع خير الورى قد كان يندثر
نعيت يا أيّها النّاعي المدرّس من في قطره ليس يلفى مثله بشر
أراك يا أيّها النّاعي أتيت بما كادت للوعته الأكباد تنفطر
لما أتيت به لا غرو أن طفقت عيوننا بمياه الحزن تنفجر
فإن جزعنا فإنّ العذر متّضح وإن صبرنا فأجر الصّبر مدّخر

إلى أن قال:

كم اهتدوا في فيافيها به ولكم على عويص بأمر الله قد عثروا
لأجله سرمدوا المسرى بها ولدى صباحهم حمدوا المسرى وقد شكروا
ولتبكه الخمس إن ترعى موافتها وليبكه طول صوم الدّهر والسّهر
تزدان صورته الحسنى بسيرته كلتاهما حسنها في النّاس مشتهر
فيا لها سيرة ما مثلها السّير ويا لها صورة ما مثلها الصّور
النّور فيها استوت فيه مفارقه و وجهه وبياض الجلد والظّفر

إلى أن قال:

ولم يزل عن مناهي الشّرع منزجرا ومن إليه انتمى ما زال ينزجر

إلى أن قال:

يا حسنها حيث أمسينا وحيث أتى وقت الصّباح وإذ ما جاءنا السّحر
واليوم الازهر في وقت العشيّ ومن قبل العشا أن بذكر الله قد جهروا[1]
كم غافل ذكروه ربّه ولكم لانت قلوب قواس إذ هم ذكروا
كان التّواضع طول الدّهر ديدنه لله لا أشر كلّا ولا بطر
لذا تواضع كلّ المسلمين له وكاد ينقاد للإسلام من كفروا
تراه ليس إلى الدّنيا بملتفت كأنّها عنده إن تأته قذر
ما همّه عسجد كلّا ولا ورق كلّا ولا إبل كلا ولا بقر

[1] في العجُز نظر!

إلـى أن قـال، ويعني:

فيكـ الضّريح بـه شيخ المشايخ لا زالـت بـه سـحـب الـرّضـوان تـنـهـمـر
كـانت خـلافة قـطـب الأولـيـاء لـه وإن خلائفه في النّاس قد كـثـروا
هـو ابـن مـشـريّـهـا الـغـالـي وحـافـظـهـا وهـو ابـن سـائـحـهـا فـوتـيّـهـا عـمـر
وهـو مـالـكـهـا الـحـاج الـذي ظـهـرت عـلـى يـديـه ومـنـه أهـلـهـا صـدروا
إفـحـامـه مـفـحـم لـلـمـنـكـريـن فـلا يُـبـقـى مـن انـكـارهـم كـلّا ولا يـذر
كـذا وراثـة خـيـر الـخـلـق قـاطـبـة لـه ومـا كَـعِـيـان يـوجـد الـخـبـر

هذا ما تيسّر لي ذكره هنا منها. وقال الشّاعر الأديب **محمّد حرم** بن **التّنيه**، أخو **عبد الرّحمن** المذكور:

ألا يا عين ويحك لا تنامي حبيبك صاده سيف الحمام
بكاءك مالكا حتم وحتم عليك السّهد من بين النّوام
فيومك بعده يوم عبوس وليلك كلّه ليل التّمام
فمن فقده بكت الليالي وحقّ لفقد مصباح الظّلام[11]
بكاء الليل والأيّام منه لأنّ زمانه شهر الصّيام
يقوم بليله مرتاح نفس يقوم نهاره قبل القيام
ألا فابكـ الدّماء بكلّ قطر فمالكـ فقده يدمي الدّوام
ومن يجد البكاء وكلّ عين بكته بعبرة مثل الغمام

[11] في الصّدر نظر من ناحية الوزن!

رأيت النّاس قاطبة حيارى لموت أبي البريّة في ازدحام
مجدّد دينه شرقا وغربا حوى بعلوّه عن كلّ سام
خصالا ما لها في العدّ حصر وهل يحصي الحصى عدّ الأنام
أما لك نفسه حتّى استقامت وباذل ماله قبل الفطام
وأرضك كلّها حرم وشام ومنها الحجّ كالبلد الحرام
أتيتك زائرا بعد اعتساف مهامه انسها عزف الموام
أتيت وحاجتي في الصّدر تقضى وقد كلّ اللسان على الكلام
فيا فوز المجاور في تواون خليفة شيخنا بعد الإمام
أبي العبّاس ملجئنا جميعا ممدّ العارفين على الدّوام
سميّ خليفة الهادي بنور إلى الإرشاد محمود المقام
فكن كأبيك أنت فذو اقتداء به حاز الخلافة بالتّمام
صلاة الله يتبعها سلام على الهادي إلى سبل السّلام

وقال مريده الصّادق **محمّد عبد الله** بن **ببان** الجكني، يرثيه:

سلام على شيخ تضمّنه الرّمس جميل المحيّا دونه في البها الشّمس
إمام يظلّ الدّرس يبكي لفقده وتشتاقه الوسطى فرائضه الخمس
لعمري لئن أمسيت باللحد ثاويا وردّت عليك التّرب وانصرف الأنس
لقد خلّدت يمناك يمنى تقاصرت عن ادونه الأحباش والعرب الحمس

هذا ما تيسّر لي من مراثي أبي المنصور الشّيخ الحاج مالك بن عثمان رحمهما الله تعالى.

وعاش الشّيخ الحاج مالك رحمه الله تعالى ستّة وستّين عاما، اعتمادا على ما ذكره رضي الله تعالى عنه، ولم ينقم عليه شيء في. وهي كرامة عظيمة.

## أولاده رضي الله تعالى عنه.

وترك بحمد الله أولادا، فمنهم **الخليفة أبوبكر**، الفائق على أبناء زمانه، العالم العلّامة الأشعري الفقيه النّحوي اللغوي، الشّاعر الألمعي الأديب الأريب، الذّكيّ المتبحّر في الطّريقة، ذو الجدّ والاجتهاد، وقاه الله كيد أهل البغي والزّيغ والفساد، من هو لأهل الطّريقة عماد، يفزعون إليه في مهمّاتهم، فيسعى في قضاء حاجاتهم اقتداء بالشّيخ أبيه العالم التّقيّ النّبيه، قال الشّاعر:

**بأبه اقتدى عديّ في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم**

وقال زهير أيضا:

**وهل يثبت الخطيّ إلّا وشيجه وتعرس إلّا في منابتها النّخل**
**فما كان من خير أتوه فإنّما توارثه آباء آباءهم قبل**

**وقلت:**

**سار العتيق أبوبكر خليفتنا كسير والده في القول**
**لا عيب فيه سوى اقتفاء والده وذلكم هو أقصى غاية الأمل**

**يا وارثا لإمام العصر مالكه سقيت من فيضه بالعلّ والنّهل**
**لقد ورثت أباك الشّيخ قدوتنا خليفة القطب نجل خاتم الرّسل**
**أرجو بجاهكم من ربّ خاتمة حسنى يمنّ بها قبل انقضا**

قلت في الشّرفي الصّارم:

**أقام ركن الرّكن بعد الوالد الماجد ابن الماجد ابن الماجد**

## مؤلّفات الشّيخ الخليفة أبي بكر سه، رضي الله تعالى عنه.

وله قصائد في مدح النّبيّ ﷺ. وله قصيدة همزيّة في سيرته ﷺ. وله قصائد في مدح الشّيخ سيّدي أحمد بن مَحمّد التّجاني رضي الله تعالى عنه. وله قصائد في مدح الشّيخ الحاج مالك رحمه الله.

وأنظامه في الطّريقة كثيرة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وله فتاوى طيّبة. وله في التّوسّل أنظام كثيرة، بارك الله فيه، وفي من تفرّع منه.

ومع هذا كلّه لم يدع شيئا! فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يطيل بقاءه في طاعته ..... ويحفظه من المكاره الدّنيويّة والأخرويّة، بجاه شافع البريّة، صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

• ومنهم السّيّد الفاضل نجل الإمام الكامل **محمّد المنصور**، فريد عصره بالآداب، الفائق على جميع الأتراب، المشارك في العلوم، النّظّامة الشّاعر، وقاه الله كيد كلّ حسود مكابر، بارك الله فيه وفي فروعه.

• ومنهم الفتى الذي وجود مثله عزيز، سميّ الغوث صاحب الإبريز، القطب **عبد العزيز** ، الأديب الأريب، المشارك في الفنون الذّائق، ذي الشّعـر والنّظم الرّائق، بارك الله فيه.

• ومنهم الفتى الأديب، الماجد الصّفيّ الأريب، الابن **محمّد الحبيب**، بلّغه الله مرامه، وبارك فيه وفيمن لم يذكر من ذرّيّة هذا الشّيخ رضي الله تعالى عنه.

# خـــاتـــمـــة

وإنّما يحتاج لهذه النّبذة من لم يلق الشّيخ رضي الله تعالى عنه، لبعده منه، أو من لم يدركه، أو أدركه ولم يحصل هذا القدر من سيرته، أو كان مشغوفا بحبّه، فإنّ المحبّ تعجبه شمائل حبيبه، ويتأنّس بها.

وبلغني أنّ بعض أصحاب هذا الشّيخ رضي الله تعالى عنه، ألّف في مناقبه، لكن لم يتيسّر لي رؤيته. وأطلب الأخ المحقّ المتأهّل أن يصلح ما رأى فيه من الخلل. قال جامعها عفا الله تعالى عنه، وكان الفراغ من جمعها يوم الاثنين بين الظّهر والعصر لتِسع خَلَون من صفر، عام أربعة وخمسين وثلاثمائة وألف[1].

اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحقّ بالحقّ والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم.

[1] ١٣٥٤

## الفهرس

الكتاب الثاني ..... Erreur ! Signet non défini.
مواهب الوّهاب المالك في التعريف بالشيخ الحاج مالك.....١
المقدّمة .....٢
تعريفه وذكر نسبه رضي الله تعالى عنه: .....٣
نسبه، رضي الله تعالى عنه.....٤
- في الحديث عن شيء من ترجمة والده عثمان رحمهما الله تعالى برحمته الواسعة. ٦
مشواره العلمي، رضي الله تعالى عنه.....٦
زواج الشيخ عثمان بوالدة الشيخ الحاج مالك، {فاطمة وادّ وله} .....٧
سبب وفاة الشّيخ عثمان، رضي الله تعالى عنه.....٧
مولد الشّيخ الحاج مالك، وتاريخ ومكان ولادته، وكفالته، رضي الله تعالى عنه....٨
دراسته، والأماكن العلميّة التي مرّ بها وشيوخه، رضي الله تعالى عنه. .....٩
رحلته إلى الحجّ رضي الله تعالى عنه. ..... ١١
إنجازات الشّيخ الحاج مالك ..... ١٥
المدرسة النجارنديّة..... ١٥

المدرسة التّواونيّة..... ١٦
شهادات بعض علماء عصره له، رضي الله تعالى عنه. ..... ٢٢
أخلاقه وأحواله، رضي الله تعالى عنه..... ٢٦
فائدة لمريدها ..... ٢٨
مؤلّفاته، رضي الله تعالى عنه..... ٣٠
وفاته، رضي الله تعالى عنه. ..... ٣١
مراثيه، رضي الله تعالى عنه..... ٣٢
أولاده رضي الله تعالى عنه. ..... ٤٠
• الخليفة أبوبكر..... ٤٠
مؤلّفات الشّيخ الخليفة أبي بكر سه، رضي الله تعالى عنه..... ٤١
• محمّد المنصور ..... ٤٢
• عبد العزيز ..... ٤٢
• محمّد الحبيب..... ٤٢
خاتمة ..... ٤٣